جرائم الحرب

كتاب صدر في ألمانيا يحمل هذا العنوان (Kriegsverbrechen) صادر بدعم أو إشراف كلية الحقوق كينيث أندرسون في ميونيخ / ستوتغارت (kenneth Anderson Juristisches fachlektorat). وإذا كان لنا بأختصار أن نقيم هذا الكتاب، فلابد من القول أن الكتاب (وهو مجموعة تقارير/ 150 تقرير) قام باحثان بجمعه وتبويبه بطريق لا تخلة من الجهد والمهنية مدعم ب 145 صورة فوتوغرافية، ليضمها هذا الكتاب ب 528 صفحة. بلا شك يمثل جهد كبير لا غنى عنه لكل من يبحث في موضوعة جرائم الحرب، وسائر الجرائم المتفرعة عنها.

وهنا لابد من ذكر حقيقة مؤكدة، معروفة قبل وخلال وبعد قراءة هذا العمل، أنه يصعب التوصل إلى الحقائق المجردة، فالحماس السياسي والآيديولوجي والهياج العاطفي يؤثر بهذه الدرجة أو تلك على فحوى التقرير أو البحث والخلاصات، وإجمالي الموقف، ويفقد البحث جانبا كبيرا من موضوعيته وعلميته .

ومن هنا فليس مستبعداً أن تقع بين أيدي الباحثين الكثير من المعلومات (إحصائيات ومعطيات) تفتقر للدقة التامة، والباحث النزيه إذا أكتشف مرة واحدة خطأ أو مبالغة، أو خبرا مسيساً (مؤسس على تحليل سياسي) وهذا ما يسيئ بشكل بالغ على البحث أو التقرير ويفقده جزءا من المصداقية. وهناك الكثير جداً من الأمثلة التي يمكن أن نسوقها في هذا المجال حدثت وتحدث، في كافة بلاد العالم، ففي كل مكان هناك مصلحة لشخص ما، لجهة ما، لطرف ما، أن يضيف أو أن يحور صعوداً أو نزولاً، بقصد التأثير على الرأي العام، وكسب الرأي العام قضية مؤثرة جداً حتى في أرقى المؤسسات السياسية كالأمم المتحدة مثلاً، وبعد سنوات قد تكون طويلة، تنكشف الحقائق، ولكن الأحكام تكون قد صدرت ونفذت، فلن يتبقى سوى الأعتذار في أفضل الأحوال.

وأفضل دليل هو في موقف كولن باول وزير الخارجية الأمريكية (وهو رئيس أركان الجيش السابق) في مجلس الأمن، لم يتردد في مسك أنبوبة طولها بضعة سنتمترات ويقول هذه أسلحة الدمار الشامل وهو يعلم 100% أنه يكذب ويغش العالم ويدفع لاتخاذ قرار مهلك للعراق. والسيد باول هذا صرح فيما بعد: أن هذه كانت أسوء لحظات حياته، وأنه نادم عليها أشد الندم. ولكننا لا نعتقد أنها اللحظة المخجلة الوحيدة في سيرة الجنرال (الفريق الأول) المتقاعد وإذا كان يعتقد أن اعتذاره يمسح خطيئته فهو واهم. طالما نتائج فعله ما يزال سار المفعول والآثار. ومثله سياسيون كثر ولغوا من مستنقع الفضائح والخيانة العظمى.

إذن فلا يدهشنا أن نلاحظ عدد من الأخطاء ربما أكثرها لم تكن بقصد سيئ، فالصحفيون يبحثون عن الأخبار المثيرة، على قاعدة " ناقل الكفر ليس بكافر "، فالكتب يضم بعض الأخطاء، وبعض المبالغات، والبناء على الشائعات، والأحكام المسبقة. ولكن الكتاب يبقى مصدر هام لكل من يبحث في جرائم الحرب ولواحقها، وضرورة تكوين رأي عام وثقافة تدين جرائم الحرب بأشكالها، والسعي دون هوادة لجلب المجرمين ووضعهم أمام العدالة.
وللأسف لا يمكنني ترجمة الكتاب، أو بالاحرى نشره (بسبب حقوق النشر)، لذلك قمت بترجمة بعض الفصول المهمة وأودعتها لدى أحد الضباط المفكرين من قادة جيشنا الوطني.

جرائم الحرب
ما ينبغي لكل شخص معرفته

(Kriegsverbrechen ----- Was Jeder Wissen sollte)

Roy Gutman / David Rieff

كتاب جرائم الحرب

أسم الكتاب : جرائم الحرب. عنوان ثانوي : ما ينبغي لكل شخص معرفته
(Kriegsverbrechen ----- Was Jeder Wissen sollte)

ـ المؤلفان : روي غوتمان / ديفيد ريف
(Roy Gutman / David Rieff)
ـ 528 صفحة / 145 من الصور .
ـ الكتاب حديث (1 / أبريل / 2000)، لذلك ترجمته بدون موافقات رسمية سيضع المترجم ودار الناشر تحت المساءلة. ولكن الكتاب شامل جداً يبحث جرائم الحرب من كل الجوانب، ومن يشتغل على هذا الموضوع بحثاً ودراسة، لا غنى له عن الكتاب.

ـ مقطع واحد عن: " الحرب العربية / الإسرائيلية. كتابة بيني موريس ويتضمن :
التصور الإسرائيلي في تطبيقات القانون الدولي الإنساني في الضفة الغربية وقطاع غزة.من صفحة 33 غلى 48.
ـ مقطع واحد بعنوان " حدث خارج ميدان القتال ". كتابة كورت شورك عن جرائم الحرب الكردية. من صفحة 55 وحتى صفحة 57.
ـ حرب الخليج . (الكويت) من صفحة 158 وحتى صفحة 165.
ـ الحرب الإيرانية ـ العراقية 1980 ـ 1988 كتابة جونثانٍ س. راندال الصفحة 200 وحتى الصفحة 208.
ـ الكويت ومصادرها النفطية. من الصفحة 276 وحتى الصفحة 278.
ـ نهب : تطرق عام ، وإشارة أحداث الكويت 1991 ، 330 وحتى333.
ـ العقوبات وأضرارها الإنسانية، تطرق عام وإشارة للمخاطر على الأطفال .

الفهرس

الكتاب نحو 150 تقرير وبحث في قضايا جرائم الحروب وكآن مؤلفا الكتاب أرادا أن يضعان موسوعة تسجيل لجرائم الحروب على مختلف أصنافها الكثيرة ....بما في ذلك (أهم العناوين) :

- الجرائم الجنسية، الاغتصاب،
- والاحتلال واجراء التجارب على الأسرى
- ذلك الفصل العنصري (الأبارتيد)
- الحروب الأهلية
- الحصار
- معسكرات الاعتقال،
- تدمير البنى التحتية،

- التطهير العرقي،
- إجلاء المدنيين من مواقع القتال،
- الإعدام خارج المحاكم،
- اللاجئين والنازحين،
- التعذيب،
- قطاعات للرمي الحر،
- أسلحة خطرة،
- أخذ الرهائن،
- فحوص الطب العدلي من قبل مجرمي الحرب،
- توفير العلاج،
- حقوق العادات والطقوس،
- حرب العصابات،
- القوات الغير نضامية،
- حماية الصحفيين،
- الجنود الأطفال،
- العقوبات الجماعية،
- معسكرات الاعتقال،
- المرضى والجرحى،
- المستشفيات،
- سجناء الحرب،
- المواقع الاثرية،
- الأهداف الحربية،
- المقابر الجماعية،
- التجارب الطبية على الأسرى،
- أحكام الضرورة العسكرية،
- الألغام،
- الناتو ومعاهدة جنيف،
- الأسلحة النووية،
- منظمات شبه عسكرية،
- حقوق السجناء،
- العنف الجنسي،
- العبودية،
- حقوق الجنود،
- المرتزقة،
- الإرهاب،
- القتل المنظم،
- قتل الجرحى،

- تدمير البيئة كأسلوب للحرب،
- جرائم ضد الإنسانية،
- الأمم المتحدة ومعاهدة جنيف،
- الأفراد المغيبين،
- إبادة الشعوب،
- الهدنة،
- تدمير إسالة المياه،
- تدمير التعسفي،
- الهجوم على المدنيين،
- حماية المدنيين،
- التهجير القسري،
- التشغيل القسري (السخرة)،

وقد أبتكر واضعا الكتاب فهرسا غريبا لم اشاهد مثله... وضعا الفهرس بحسب الحروف الابجدية.. على عناوين المقالات والبحوث، بتقديري أن الكتاب عمل تجميعي، ورغم شموله وسعته، إلا أنه تقارير صحفية وتسجيلية، وبالطبع هذه لا تخلو من فائدة، ويحتاجها حتماً كل من يبحث في جرائم الحرب، لجهة المعلوماتية، فالكتاب ليسوا أساتذة اخصائيين..

أحداث خارج ميدان القتال

ترجمة : ضرغام الدباغ

" هذا فصل حرره كورت شورك (Kurt Schork) مستل من كتاب يحمل عنوان " جرائم الحرب / Kriegs verbrechen " لمؤلفاه: روي غوتمان، وديفيد ريف (Roy Gutman - David Rieft) .

في أكتوبر 1991خاضت قوات من الجيش العراق والبيشمركة الكردية لعدة أيام قتالاً صعباً حول مدينة السليمانية . وبعد ظهيرة اليوم الثالث لم يعد بحوزة العراقيين يقاومون خلاله داخل السليمانية سوى مجمع قيادة يقع في جنوب غربي المدينة. وتجمع مئات من المقاتلين الأكراد الغير نظاميين للقيام بهجوم نهائي لإسقاط الموقع، وكنت أراقب الموقف عن قرب.

Kurdische Peschmerga-Guerillas haben irakische Gefangene entwaffnet. 11. Oktober 1991, Nordirak.

(الصورة : مقاتلوا بيشمركة أكراد نزعوا أسلحة عراقيين وأسروهم: 11/ أكتوبر ـ تشرين الأول / 1991 في شمال العراق)

بعد نحو ساعة من تبادل إطلاق نار من أسلحة يدوية، وصواريخ، وقنابر الهاون، قام المقاتلون الأكراد بحمله هجوم على البناية التي تمتد لبضع مئات من الأمتار في البناية المفتوحة وتمكنوا من تجاوز أولى المواضع العراقية في سلسلة البنايات. وعندما تقدم الأكراد من أعلى التل إلى الجزء الأخير من البنايات، بلغوا أرضاً شبه مستوية (متموجة)، وكان هناك عدد كبير من قتلى وجرحى الجنود العراقيين، وجنود عراقيون آخرون كانوا يبدون أنهم يرغبون بالاستسلام، وقد وضعوا أسلحتهم أرضاً، وبركوا على ركبهم على الأرض وقد عقدوا أيديهم خلف رؤوسهم، والكثير منهم كانوا يهتفون طلبا للرحمة يهتفون " الله أكبر ". وانقطع الرمي من البناية، وبدا أن الجنود قد تركوا مواقعهم في أعلى البناية، وأن القتال قد انتهى.

والجنود العراقيين الذين تمكنت من مشاهدتهم ، لم يكونوا في وضع قتالي، وبذلك كانوا بحسب القواعد الإنسانية للقانون الدولي يستحقون الحماية. وهذا يعني أنه لا يجوز الهجوم عليهم وأنهم يستحقون أن ينالوا معاملة إنسانية.

المادة الثالثة من معاهدة جنيف لعام 1949(Geneve Convention) تنص " في حالة نزاع (Conflikt) ليس له صفة دولية كحالة المتمردين (Rebellion) الاكراد في شمال العراق تنص " أشخاص " الذين لا يشاركون مباشرة في أعمال عدائية، وكذلك أعضاء في قوات مسلحة الذين يشهرون السلاح، والأشخاص الذين بسبب المرض أو الإصابة بجروح أو الأسر أو أية أسباب أخرى هم خارج القتال، يجب أن يعاملوا في كافة الظروف بإنسانية.

Die Kurden metzelten die Gefangenen nieder, ohne das Flehen eines zum Tode verdammten Irakers zu beachten.

(الصورة : الأكراد ذبحوا الأسرى، دون أي اعتبار للمحكوم عليهم من العراقيين)

وحيال، الأشخاص الذين خارج القتال تمنع المادة 3 " الهجمات على حياة الأفراد.. خصوصاً القتل، التشويه، التعامل بعنف، والتعذيب "، والمنع هو بدرجة مطلقة. كما يعرض تعليق اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى المادة 3 " أن المادة لا تضم ثغرة، ولا تقدم الأعذار ولا تسمح بالظروف المخففة ". وفي قضايا النزاعات بين الدول تمثل انتهاك هذه الفقرة مخالفة صريحة للقانون.

وبدلاً من قبول استسلام الجنود العراقيون وتقديم الحماية لهم، كما يتطلب الحقوق، وكما جرت العادة في القتال الذي كان يدور في الآونة الأخيرة عادة في السليمانية، قام الأكراد بإعدامهم. وقتل جندي عراقي على بعد خطوات، بالقرب مني لم يكن مسلحاً، ورافعا يديه ولكن أطلق النار عليه وقتل. وسبعة آخرين من الجنود العراقيين الغير مسلحين، كانوا جاثين على ركبهم، أطلق النار عليهم وقتلوا. وكل جندي عراقي وجد خارج

البناية الكبيرة، أطلق النار عليه وأعدم. ولم يكن أحد منهم مسلحاً، ولم يبد أي منهم أي شكل من أشكال المقاومة أو الإفلات (الهرب).

وأخيراً وصلت للبناية الرئيسية، كان ما لا يقل عن 75 جنديا عراقياً قد اقتيدوا في غرفة كبيرة لم يكن أحداً منهم مسلحاً أو يبدي المقاومة، ويبدو على العديد منهم أنهم قد أصيبوا بجراح من المعارك الأخيرة، وحتى هؤلاء الأسرى أطلق عليهم النار.- وكان المقاتلون الكرد يفرغون مخازن بنادقهم الكلاشينكوف على هؤلاء الذين تحولوا تدريجياً إلى كدس من الجثث المغرقة بالدماء، وبعض الأكراد من غير المقاتلين شاركوا في هذه المذبحة، وقاموا بسحق رؤوس بعض الجنود الذين كانوا ما يزالون على قيد الحياة بواسطة صخور متحجرة من الأسمنت.

وفي غضون 30 دقيقة كان جميع الجنود العراقيين المتواجدين في هذا المكان قد قتلوا، وأعتقد أن عددهم كان يناهز ال 150 جندياً.

إن قتل هؤلاء الجنود العراقيين يمثل جريمة حرب بموجب كافة القوانين الدولية الإنسانية حالما يسقط المقاتل / المقاتلين بأيدي أعداؤهم، أو يصبحون عاجزين عن القتال، فيطلب الاستسلام، أو يؤخذ أسيراً يكون له الحق في الحماية.

هوامش

1. كلمة (Rebellion) باللغة الألمانية تعني : تمرد / عصيان، وفي اللغة الإنكليزية (Rebellion) تعني ثورة / تمرد / عصيان

هذا المقطع من تحرير : حونثان سي راندال **(Junathan C. Randal)**

ص 200 وحتى ص 208

من كتاب: جرائم الحرب، تأليف / عمل : روي غوتمان، ديفيد ريف

(الصورة : نساء إيرانيات يرتدين الجادور يتدربن على المسدس في حرب التي لم تحض باهتمام الإعلام الغربي برغم خسائرها العالية. إيران عام 1986)

تحت عباءة " السياسة الواقعية " اتخذ العالم وبوعي موقفا يتسم باللامبالاة حيال حربا مفزعة طويلة في الثمانينات بين إيران والعراق، والتي انطوت على تجاوزات ضد الحقوق الإنسانية، جرائم حرب، بل وربما جرائم إبادة شعوب، وهو ما يعزز الشعور عند القائمين بالحروب أن من الممكن الإفلات من العقاب.
وبعد عقد من السنوات على نهاية الحرب، ما زال هذا الأرث المتقيح يسمم العلاقات بين إيران والعراق ويوفر معطيات خطرة لنزاعات مستقبلية.

ويصعب التصور كيف ترتب الدول العظمى امورها مع القوى الشريرة، مع أنه يبدو مفهوما بسهولة حالة العداء بين دولتان في منطقة الخليج تمثلان توجهات دينية، حتى حلت الثورة الإسلامية بتوجهاتها الأصولية في طهران وأخذت تهدد الدول في المنطقة بتصدير الثورة وهو ما دفع العراق للقيام بحرب وقائية ونشوب مخاوف دولية من أن تتمكن إيران من الانتصار في هذه الحرب.

والعلاقات المتوترة بين البلدين الجارين، قادت إلى انشقاق في الإسلام. بين السنة الذين يسيطرون على بغداد ومواصلة قمع الشيعة الذين يحكمون اليوم في طهران.

في العقود ما قبل الحرب، كانت واشنطن قد قدمت كافة أشكال الدعم لشاه الفرس بالأسلحة الحديثة، والقواعد العسكرية، والتكنيك الحديث لتجعل منه الشرطي والدركي في منطقة الخليج.

وبالمقارنة بين الالنفط للعالماتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا يساعدون، العراق بتكوين ترسانة من الأسلحة، وكانت عائدات مبيعات النفط الخام تساعد خطط التسلح، وكانت منطقة الخليج تصدر ثلثين النفط للعالم الحر (الرأسمالي).

وحتى في هذا القرن الدموي (الحرن العشرين)، مثل هذا النزاع الذي أستغرق من سبتمبر / أيلول 1980 وحتى يوليه / تموز 1988، مثل مقياساً جديداً للوحشية، بما في ذلك ما انطوت عليه من استخدام للأسلحة الكيماوية من حكومة ضد شعبها وسجلت كجرائم ضد الشعوب الأكراد العراقيين.

Iranische Soldaten feiern 1980 einen Vorstoß auf die Faw-Halbinsel. Als der Krieg zu Ende ging, waren etwa eine Million Iraker und Iraner umgekommen.

(الصورة : جنود إيرانيون يحتفلون بالنصر، هجوم على شبه جزيرة الفاو. عندما انتهت الحرب كان هناك مليون قتيل تقريباً من العراقيين والإيرانيين) (1)

في هذه الحرب، التي تعتبر أكثر الحروب حقيقي منظمر في الخمسين سنة الأخيرة، قتل في المعارك حسب بعض التقديرات 750,000 الف جندي إيراني، وربما 250,000 ألف جندي عراقي. والمعارك كانت تدور بأدلة مفزعة بتجاهل حقيقي منظم لقواعد خوض الحرب وليس فقط من طرفي النزاع.

وبالنسبة للكثير من الأجانب، كان النزاع على الأغلب (في جانبه الأعظم) يدور باستعادة نادرة للقتل في حرب الخنادق التي جرت في الحرب العالمية الأولى. تزداد تعقيدا بسبب الحماس الآيديوجي، والتي كانت للجميع ليست بعيدة عن أحداث التاريخ الدموي الخالي من الرحمة في الشرق الأوسط.

في البدء كان الغربيون ينظرون إلى طرفي النزاع بصورة متساوية، بحيث سخر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هنري كيسنجر بقوله أن في تواصل ضعف طرفي النزاع هو أمر يبعث على السرور.

وعندما تمثلت أفضل نتيجة، في إرهاق(استنفاذ) أصاب الجانبين: من جهة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، آية الله روح الله الخميني، الذي كان قد عقد العزم على توسيع الثورة إلى كافة أرجاء العالم الإسلامي، ومن جهة أخرى، صدام حسين العلماني، الذي يقلد النظام البروسي، ويبدو مخيفا لمواطنيه ولشيوخ النفط في إمارات الخليج الصغيرة.

هذا الموقف هو الذي حمل البلدان الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة إلى موقف متقاعس مشكوك في أخلاقيته، على الرغم من التأكيد على الالتزامات الواجبة حيال الاتفاقات الدولية التي كانت إيران وكذلك العراق قد وقعوا عليها.

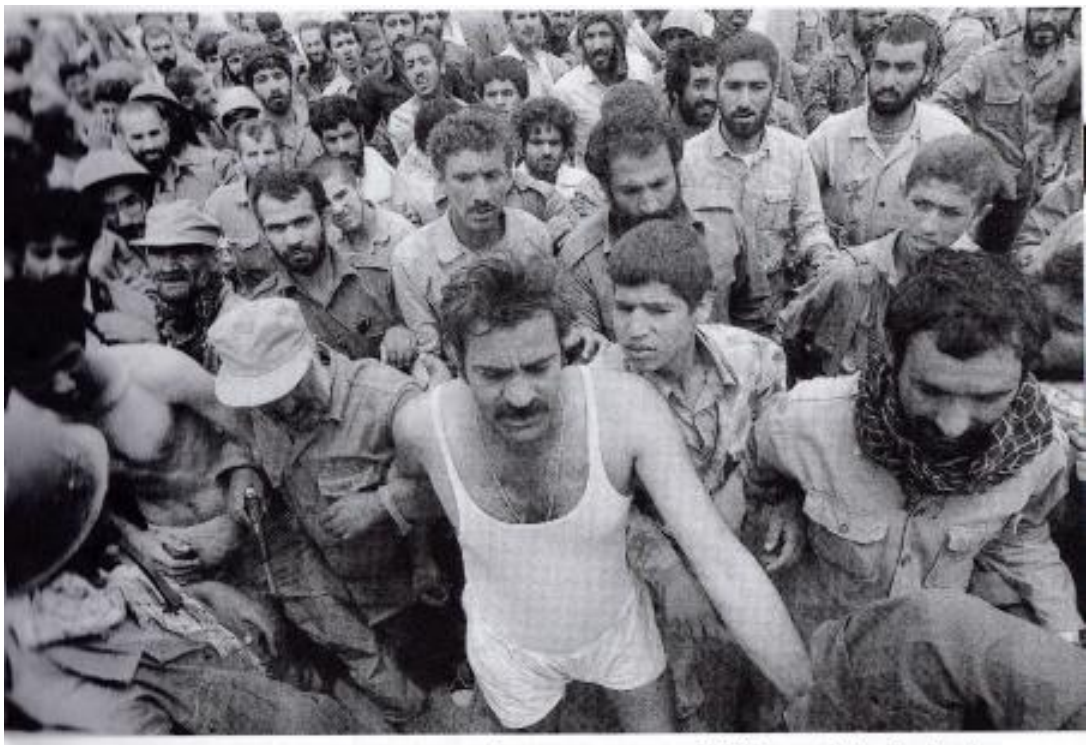

Ein irakischer Oberst, von Iranern gefangengenommen, bei Khoramshahr, September 1982. Über zehn Jahre nach Kriegsende halten beide Seiten immer noch Tausende von Kriegsgefangenen fest.

(الصورة : عقيد عراقي تم أسره من قبل الإيرانيون، بالقرب من خرمشهر، سبتمبر / أيلول ـ 1982 وبعد أكثر من عشرة سنوات، ما يزال طرفا الحرب يحتفظان بالآف الأسرى)

اللجنة الدولية للصليب الأحمر (IKRK) التي تمثل الضمان الحيادي للقواعد الحرب، والمقبول للحقوق الإنسانية للقانون الدولي، وجدت نفسها مرغمة على الإعادة والتكرار للخروقات المتواصلة في العمليات الحربية، كما وجهت الانتقادات إلى مواقف الدول الكبرى المعقدة، لعدم اكتراثها حيال هذه الخروقات.

التنازل عن الأخلاق والقضايا المعنوية، في الحروب التقليدية الأخيرة بين الدول في القرن العشرين، حدثت بين المشاركين في الحروب : رواندا، صوماليا، ليبريا، البوسنة، وحيثما حدثت في جميع أرجاء العالم، في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. حين أعلن الخميني " تناول كأس السم " بقبوله قرار مجلس الأمن على الهدنة وإيقاف القتال بدون قيد وشرط حسب قرار مجلس الأمن الدولي في صيف عام 1988، وهو الذي كان يرفض ذلك قبل عام انصرم.

ومن أجل الوصول إلى ذلك، كان على القوى العظمى أن تمارس دورها القديم " العزلة الرائعة " في إرغام كلا الجانبين إلى موقف وفق تصورها . وكانت القوى العظمى قد أرغمتهم، منعاً لانهيار العراق، ولهذه القناعة بواسطة تجهيز العراق بالأسلحة الكافية، وكان نهوض المعارضة الإيرانية أحد نتائج الغزو العراقي لإيران والتي كلفت أعداد كبيرة من الضحايا ، الغير مقبولة من أي حكومة إلا الأنظمة الثورية، والتي اختفت بسرعة . **(2)**

وختاماً تبع ذلك سياسة واقعية بدعم من الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، باستثناء الصين، بعد أن أخرجت إيران العراق إلى ما وراء حدودها عام 1982 وتأسيس تحالف إعمار بمليارات الدولارات، وإنهاء حالة العداء ولكن هذه الأفكار رفضت.

وهذه المواقف في السياسة الدولية هي التي أحالت أحلام الخميني في إنشاء دولة إسلامية في العراق إلى الفشل، ومن الأمور الحاسمة أيضاً كانت المساعدات السرية والعلنية، منها " إعارة " الطائرات الفرنسية سوبر إيتندارد للعراق، وأيضا تقديم خدمات استخباري منها تطيل الرادارات الإيرانية بالقرب من طهران، وكذلك الصور فوتوغرافية للمواقع الإيرانية بواسطة الأمريكيين. وبالرغم من ذلك لم يكن صمود العراق حيال إيران سهلاً، وبعد ذلك لم يكن تعبير عن الذكاء أن يغزو صدام الكويت بعد عامين من نهاية الحرب.

وكان هناك أمر ينبغي تحقيقه، من أجل حماية صدام من حمايته من خطأ كبير، لم يكن تجنبه ممكناً دون خسارة عالية للأرواح البشرية . في حرب كانت الهجمات فيها تنطوي على خروق لحقوق الإنسان. فيها مبتكرات في الاستخدام وهذه أشير إليها في منظمات حقوق الإنسان ولكن دون نتيجة.

وفي غضون السنوات، كانت تجري خروقات ضد معاهد جنيف 1949والبروتكول الملحق به عام 1977 التي منعت الهجمات على الأفراد والمنشئات المدنية، وزج الأطفال في القتال، وتوجب تقديم الحماية لأسرى الحرب، وكذلك انطوت على خروق للبروتكول الموقع عام 1922 التي منعت استخدام الأسلحة الكيمياوية.

بأعداد لا حصر لها، من الأطفال الإيرانيين الذين جندوا للحرب، زودوا بمفاتيح بلاستيكية، التي تضمن لهم فتح أبوب السماء (الجنة)، تفجرت أجسادهم حين زجوا في حقول الألغام لفتحها بأجسادهم، أو حين صبت عليهم نيران المدفعية خلال صد الهجمات الإيرانية بما يشبه الأحداث التي جرت في فردان (فرنسا / الحرب العالمية الأولى)، أو في معارك ستالينغراد(الاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية). أو بفعل الصواريخ العراقية التي كانت تهطل في المساء على المدن الإيرانية، وهكذا دمر العراقيون والإيرانيون مدن عديدة القريبة من الحدود. **(3)**

وواجهة الصليب الأحمر الدولي (IKRK) حين كان الطرفان المتحاربان يمتنعان عن طريقة الأداء الرسمي للمنظمة رغم أن الجانب العراقي وكذلك الإيراني كانا يوافقان على مساعي الصليب الأحمر الدولي في البحث عن الأسرى والبحث في هويات المفقودين أو القتلى. ولكن الطرفان كانا يعقدان من مهمات المنظمة تحديد الخسائر من القتلى والأحياء الأسرى والمفقودين.

والجانب العراقي كرر شكواه أن أسراه يتعرضون للتصفية، وأنه لا يسمح لهم بالتواصل، وأن الجنود العراقيين من الشيعة يتعرضون لعمليات غسل الدماغ، ويرغموهم على الانضمام إلى وحدات عسكرية خاصة " لواء بدر " التي تأسست ونظمت من قبل إيران لتقاتل في الوطن من أجل إقامة الجمهورية الإسلامية. وقد واجهت منظمة الصليب الأحمر الدولية (IKRK) صعوبات جمة في تسجيل الأسرى في إيران.

وطهران احتجت أن أسراها يمنعون من إقامة الصلوات بشكل جماعي، وبغداد بررت ذلك لمقتضيات الأمن، والعراق من جانبه أعاق منظمة الصليب الأحمر الدولية من الوصول من زيارة 20 ألف أسير إيراني الذين أسروا منذ 1987.

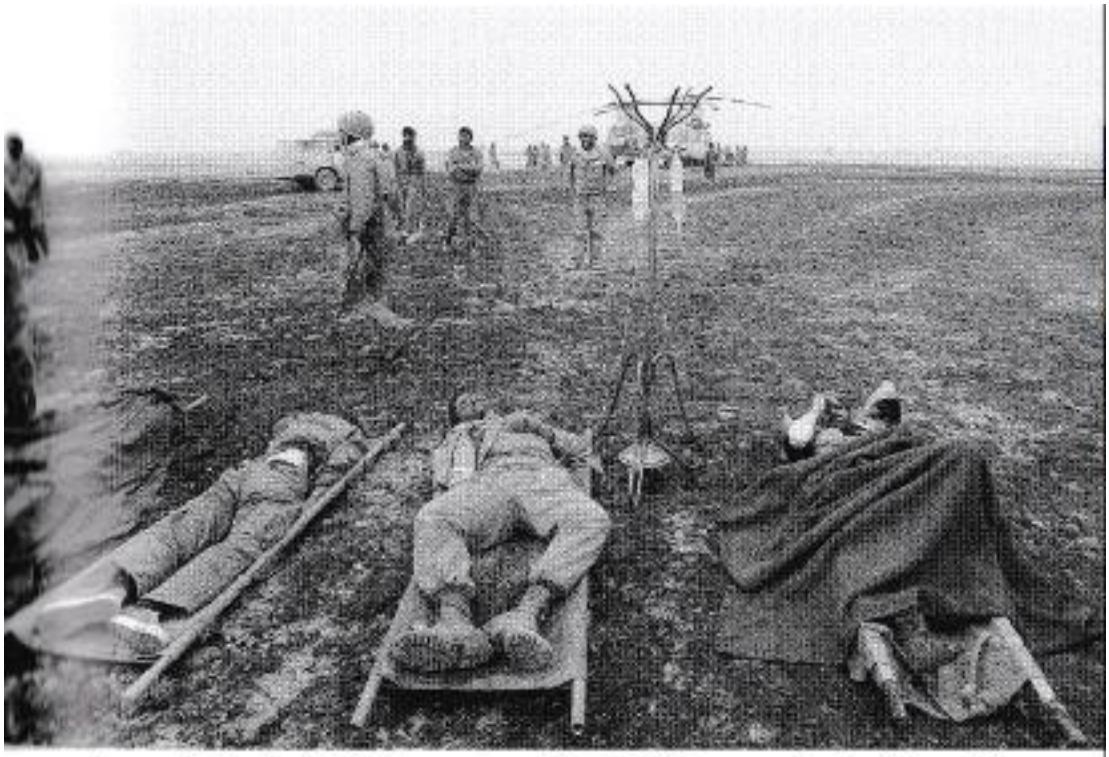

Verwundete iranische Soldaten warten auf ihre Evakuierung zu Krankenhäusern hinter der Front, bei einer iranischen Offensive, die in den ersten Tagen im April 1992 fünfzigtausend Tote und viele weitere Verwundete kostete. Shalamche, Iran.

(الصورة : جرحى جنود إيرانيون يجري إخلائهم إلى مستشفيات خلف الجبهة، في هجوم إيراني، في أولى أيام شهر أبريل / نيسان ـ 1992 كلفت 50 ألف قتيل وجريح. الشلامجة / إيران)

وحتى بعد نهاية الأعمال القتاليةعام 1988، وبعد سنتان من وقف القتال، لم يجر تبادل للأسرى، رغم أن أتفاقية الهدنة كانت تنص على التادل الفوري للأسرى، ورغم أن منظمة الصليب الاحمر الدولي سعت بقوة لذلك. (سعى صدام بعد عام 1990 لتحسين العلاقات مع إيران بعد أن أدرك أن الولايات المتحدة تقوم ببناء تحالف دولي بشأن الكويت. بعدها جرى استبدال 40,000 الف رجل عادوا إلى بلدانهم، ولكن منظمة الصليب الاحر عبرت عن رفضها لعملية التبادل هذه (رجل لرجل) من الاسرى.

وبد عقد من السنوات (10 سنوات)، على آخر إطلاقة في الحرب. ولكن في أبريل / نيسان / 1998، قامت إيران بمحاولة جديدة لتحسين العلاقات مع العالم العربي والخروج من عزلتها التي استغرقت عقدين من السنوات (20 عام)، فقد زار ممثلي منظمة الصليب الاحمر حوالي 6,000 ألاف من الأسرى العراقيين في إيران وتم الإبلاغ عنهم، الكثير من ال 12 عشر الف الباقين ثبتوا رسمياً، يبدون 20 عاماً أكبر من سنهم الحقيقي، وكانالكثير منهم قد التحقوا بصفوف "لواء بدر " وباتوا يخشون المساءلة في وطنهم.

وكان الأمتناع الإيراني من أداء ألتزاماته حيال الصليب الاحمر، لا يكمن في مجرد التجاهل كما كان الوضع مع العراق في البداية، ولكن الحقيقة هي أن الثورة الإسلامية كانت ترفض كل شيئ كان الشاه ونظامه

البهوي قد وافق عليه. فالنظام البهلوي كان الخميني قد أسقطه منذ الأشهر الثمانية عشر التي مضت قبل أن يشن العراق حربه الوقائية.

ومنظمة الصليب الأحمر(IKRK) وقواعد عملها، وأنظمتها المكتوبة، وممثليها الذين يتصفون بالعناد، وبسلوكهم الموضوعي، وكلهم كانوا غربيين ومسيحيين، لذلك كانوا موضع شبهة، وغير مرتبطين بجهات ثورية، لذلك كانوا موضع شبهة والرؤية تجاههم سيئة.

Unbekannter Soldat: Im Irak ließ der lange Konflikt die ganzen Schrecken des Stellungskrieges aus dem Ersten Weltkrieg wieder aufleben.

(الصورة : جندي مجهول : أعاد النزاع الطويل إلى الأذهان فضائع حرب المواقع كما حدثت في الحرب العالمية الأولى)

المحرم الذي تجاوزه صدام كان في استخدامه للأسلحة الكيمياوية، في البداية ضد القوات الإيرانية، ومن ثم ضد الأكراد. ولم يكن هناك تبرير آيديولوجي في اليد، وقراراته تتخذ على أساس إزاحة كل من يقف في طريقه. كما قام عام 1983 بإبادة 8 ألاف من رجال العصابات (المقاتلين) الأكراد من عشيرة القائد مسعود البرزاني، فعل ذلك وقامر لأنه أعتقد أن الغرب سيتسامح معه في فعل كل شيئ من أجل إيقاف الخميني.

وقد قامت الشركات الغربية بدورها خلال الحرب بتجهيز العراق بالمواد الكيمياوية على أساس أنها ستستخدم في صناعات الأسمدة، وهذا معروف طبعاً، وممنوع في العديد من المعاهدات الدولية وأنه جرى إنتاج غاز الأعصاب. هذه الأسلحة. وهذه الأسلحة التي بحث عنها مفتشوا الأمم المتحدة ونزعها من ترسانة أسلحة صدام. والزعم بعدم معرفة الحكومات الغربية التي كانت تعلم بوجود ومخاطر هذه الأسلحة قبل غزو الكوالأسلحة من يبدو أمراً غير محتملاً.

ولكنهم فقط وعندما أصبحوا تحت الضغط، وأرادوا تشويه صورة صدام، وحين تسلحت حتى جيوشهم بهذه الأسلحة، تغلبت الحكومات الغربية على حالة فقدان الذاكرة، وبدأت تستخدم قصص هذه الأسلحة من قبل العراق. وحتى يومنا هذا تقدم الأمم المتحدة الحماية الشركات التي كانت متورطة بذلك. وأكد رولف إيكيوس الذي كان يرأس فرق المفتشين الدوليين التابعين للأمم المتحدة، أكد بصفة خاصة ذلك، أن مجلس الأمن عام 1993 أتفق مع المفتشين، أن العراق ومنظمة الطاقة الدولية قد اتفقا، أن لا تنشر هويات تلك الشركات.

الرغبة في تجنب المسؤولية في مثل هذه الحالات بديهية، عندما يفكر المرء أي أضرار التي تسببت بها تلك الأسلحة، وأشهر مثال على ذلك هي ما أصيبت به بلدة حلبجة الكائنة بالقرب من الحدود الإيرانية، وكانت العصابات الكردية ا متحالفة في ذلك الوقت مع الحرس الثوري الإيراني، حيث قامت الطائرات العراقية بتاريخ 16/ آذار / 1988 بمهاجمة موجاتهم البشرية.

كانوا يرشون غاز الخردل، وهي المادة التالية الأكثر مفضلة في الحرب العالمية الأولى. وكذلك السارين والتابون (Tabun) وكلاهما من غاز الأعصاب (Nervengas). التي طورت في العهد النازي، ولكنها لم تستخدم أبداً، وكذلك الفي أكس (VX)الذي جربه العراق لأول مرة، وقتل ما لا يقل عن ى3 ألاف شخص مدني كردي.

وفي مرة وواحدة على الأقل كانت هناك صور للأثار الفظيعة للأسلحة الكيمياوية، وأخذ الإيرانيون الصحفيون الأجانب بطائرات سمتية (هليكوبتر)، وفرق تلفازية، ومصورين غلى المنطقة. وكتب هؤلاء التقارير والتقطوا الصور للجثث مطروحين في شوارع بلدة حلبجة وهو ما أثار غضب العالم.

وما حدث في حلبجة، ما كان ينبغي أن يفاجئ العالم،، ففي شهر تشرين الثاني / نوفمبر / 1983، أبلغت إيران الأمم المتحدة عن أول استخدام عراقي للأسلحة الكيمياوية في الدفاع وصد هجمات موجات المشاة الإيرانية ، والعراق رفض مقترحاً للأمم المتحدة إرسال الخبراء إلى كلا الجانبين المتحاربين ليقوموا بالفحص الموقعي .

تقرير الأمم المتحدة 1984، عن نتائج عمليات الفحص والتفتيش على الأراضي الإيرانية تفيد، أن العراق قد أستخدم عاز الخردل والتابون(Tabun) ولكن ق من خلال الأفلام والصور الفوتوغرافية تظهر القليل من الفاعلية. ومجلس الأمن أتخذ قراراً عاماً الذي لم يشير إلى العراق بالأسم. وفي تقرير آخر قلما حضي بالاهتمام، أدان بصفة عامة استخدام الأسلحة الكيمياوية بأسم رئيس المجلس الشخصي، وهذا يشير إلى أن مجلس الأمن لم تكن لدية وسائل كثيرة حيال الأمر.

وبرغم هبات الأحتجاج على ضرب حلبجة، لم يقلع العراق عن ذلك (استخدام الغازات)، في استخدام الغازات ضد الأكراد. (التي لم تثبت الانتهاكات لبروتكول جنيف 1925 حول استخدام التي ثبت لمرات عديدة استخدامها خلال الحرب الأسلحة الكيماوية) **(4)**

وفي الواقع لم تكن حلبجة الحادثة الوحيدة ومن بين الملايين من الوثائق العراقية التي استولى عليها الأكراد عام 1991، يجد المرء الأدلة أن صدام قام عام 1987 / 1988 بعمليات تحت الاسم الكودي (الأنفال) استخدمت فيها سنة عشر مرة على الأقل الأسلحة الكيمياوية ضد القرى الكردية.

ويقر ممثلون عراقيون وأكراد، بأن خلال عمليات الأنفال، لقى ما لا يقل عن 16,000 إلف كردي مصارعهم. التي واصلها صدام حتى بعد وقف إطلاق النار في الحرب الإيرانية ـ العراقية عام 1988، واصل صدام استخدام الغازات ضد الأكراد التي كانت شديدة بحيث يصفها تقرير للأمم المتحدة " كانت قوية بدرجة يندر أن نجد لها مثيلاً بعد الحرب العالمية الثانية ".

وملفات الأنفال مثقلة بما يمكن اعتبارها صالحة لتوجيه الاتهام لصدام بتهمة إبادة شعوب. التي تم تحديده من الأمم المتحدة " القصد .... تدمير جزئي أو كلي لمجاميع وطنية، عرقية، قومية، أو دينية "، وقد قامت منظمة حقوق الإنسان (Human Rights Watch) بدراسة 4 ملايين ملف، وقد تكبدت في سبيل ذلك جهداً كبيراً ونفقات باهظة، وأصدرت كتابا بهذا الصدد . " وأنه لمن المضحك ما بوسعك أن تجد هناك " علق أحد الخبراء السابقين في قضايا حقوق الإنسان.

ولكن الحكومات فقط بوسعها إثارة شكوى (دعوى) بإبادة الشعوب، ولكن لحد الآن لم تقم حكومة بذلك، ولا ائتلاف من الدول أبدى الاستعداد لمثل هذا الأمر. والأمر يبدو أنه بسبب الخشية من إجراءات أو حسابات الاتفاقيات التي تعقدها مع بغداد، ولا تريد أن تلحق الضرر بعلاقاتها معها (مع بغداد).الولايات المتحدة لم تكن تريد الإضرار بمصالحها، ولم تكن ترغب بإثارتها إلا إذا فقد المبررات والبراهين الأخرى ضد صدام.**(5)**

لم تتضح قناعات صدام حسين بالإفلات من العقاب، وكذلك أبن عمه علي حسن المجيد الذي أمر بتنفيذ عملية الأنفال، ففي عام 1989 برر الرجل الذي يطلق عليه الكرد " علي كيمياوي "، حينما كرر الضربة الكيمياوية وقال متفاخراً "ومن هذا الذي سيقول شيئاً ...؟ ... المجتمع الدولي ..؟ عليهم القاذورات ".

والأمر الإيجابي الوحيد الذي برز من خلال الحرب الإيرانية العراقية تمثلت بتعديل (تنقيح) معاهدة سلاح الغازات السامة التي تم التوقيع عليها بباريس عام 1993 والتي حظرت (منعت) استخدام هذه الأسلحة، أو تخزينها، أو تطويرها، أو إنتاجها، أو نقلها، أو بيعها، تمنع منعاً باتاً، وتدمير المخازن التي كانت تضمها.

الثناء سيأتي متأخرا لمن صاغوا المعاهدة بالنسبة لم قضوا بالغازات فعلاً، أولئك الذين افلتوا من الموت في حلبجة والذين تركوا وحيدين ثم طواهم النسيان، العالمة البريطانية الوراثية (Genetic) كرسيتينا غوسدن زارت حلبجة بعد عسرة سنوات من تعرضها للغازات السامة ومن خلال البراهين الطب الشرعي التي قامت بتجميعها تظهر أن الذين عاشوا بعد الضربة يعانون وراثيا من آثار بشعة، يعانون من الآفات الجلدية، وضيق في التنفس، أنواع غير مألوفة من السرطان الشرس، والإجهاض، التشوه، أصناف جديدة من أمراض القلب، وتشققات، شفة الأرنب(تشوه ولادي يتمثل بشق في الشفة العليا) و مشاكل في الرئة.